

## الملكة اللسانية وعلوم اللغة العربية

د. يوسف وسطاني

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة محمد الأمين دباغين - سطيف 2

## ملخص

يتضمن البحث وجهة نظر لسانية في نطاق البحوث اللسانية التطبيقية، بهدف الوقوف على الضعف الملاحظ الذي استشرى في أوساط طلبة اللغة والأدب العربي نتيجة انعدام التطبيقات العملية من خلال النصوص الثرية، المتضمنة لصنوف علوم العربية، تساعد على اكتساب ملكة لسانية غنية أصيلة، تنمو بالمران المتواصل اعتمادا على أشكال من التطبيقات العملية. وتمكن المتعلم من ممارسة التحليل اللساني، مما يكسبه التنوع الأدبي، بالاستقراء والتحليل والاستنباط، فيثري زاده اللغوي، وتنمو لديه الملكة اللسانية الكفيلة بجعله يخوض غمار التحليل الأدبية الرفيعة.

الكلمات المفاتيح: ملكة لسانية، اكتساب، تعلم، أنموذج لغوي، تطبيق عملي، وسيط تعلم، تحليل لساني.

*La Faculté linguistique dans l'apprentissage de l'arabe***Résumé**

La présente étude a pour objectif d'exposer un point de vue dans le domaine de la linguistique appliquée, qui part d'un constat relatif à la faiblesse des étudiants des lettres arabes, une faiblesse due à l'absence d'exercices analytiques pratiques des textes classiques, qui représentent le seul moyen capable de les aider à acquérir une meilleure maîtrise de la langue arabe qui ne peut être développée qu'à travers un exercice permanent incluant des opérations logiques telles que l'analyse, la synthèse et la déduction qui peuvent leur permettre d'enrichir leur bagage linguistique et d'acquérir la faculté d'analyse des textes littéraires

**Mots clés :** compétence linguistique, acquisition, apprentissage, applications, moyens d'instruction, analyse linguistique.

*Linguistic Faculty in Arabic Language aquisition***Abstract**

The study presents a linguistic point of view in the field of applied linguistics that starts from the observation of poor performance of Arabic language students due to the lack of practical exercises of analysis of classical texts that represent the only way to improve the students' knowledge in Arabic. The solution is presented in a permanent linguistic exercise of analyzing literary texts, so that students can develop a faculty of better testing the language through the practice of logical operations like analysis, deduction and synthesis, this represents a perfect way to improve one's language and gain an eminent analyzing faculty .

**Keywords:** Linguistic competence, acquisition, learning, linguistic pattern, application, medium of instruction, linguistic analysis.

## توطئة:

توحيد الرؤى لدى المهتمين بعلوم العربية، و إلى بعض ما يجب القيام به عمليا من طرق مجدية وسبل ناجعة في حقل تنمية الملكة اللسانية العربية بعلوم اللغة، لأن ذلك يعدّ من صميم العمل الحضاري الراقي الذي يهدف إلى الحفاظ على أبرز مقومّ للانتماء الروحي للأمة، مع إدراج بعض النماذج العملية التطبيقية التي وُظفت من خلالها بعض علوم اللسان العربي للوقوف على معاني تلك النماذج.

وانطلاقا مما سبق، يندرج هذا المقال في نطاق البحوث اللغوية، ذات الصلة بمجال اللسانيات التطبيقية، والتي هي في جوهرها فرع من فروع فلسفة علم النفس التربوي والاجتماعي، التي شاع انتشارها وغطى أرجاء المعمورة لما له من أهمية بالغة في البحوث التطبيقية المنتهجة في تعليمية اللغات بصفة عامة، غير أنّ الذي لوحظ عمليا هو طغيان تلك النظريات على علوم اللسان العربي، وأضحت الغاية والوسيلة من كل الجهود المبذولة في مجال تعليمية العربية، فغزت مصطلحاتها المختلفة والمتنوعة جلّ بحوثنا الأكاديمية، وانبرى لقيف من باحثينا - في المجال- للأخذ من تلك النظريات ومحاولة إسقاط مضامينها على النص العربي نقدا وتحليلا، وإجراء المقارنات والموازنات، بمحاولة إبراز مدى نجاعتها عمليا، بحجج كثيرة ودوافع كثيرة أيضا، والحقيقة التي لا مرأى فيها، أنّ تلك المساعي الحثيثة ومقتضياتها المادية الهائلة لم تؤت أكلها، بل جاءت نتائجها مخيبة لا طائل من ورائها لأسباب عديدة لا يسع المجال لذكرها، لعل أبرزها على الإطلاق اختلاف أنماط التعبير بين لغات الأمم.

ومن هنا، فقد بات لزاما على كل المنتمين لهذا المجال الحيوي ذي الصلة الوثقى بحضارتنا الإسلامية، معاينة طرق تدريس علوم العربية على

إن مستوى الرداءة الذي استشرى في اللسان العربي المبين -نطقا وتدوينا- في جميع مجالات الحياة اليومية في أقطار العالم العربي، وانتفاء الذوق الرفيع للمتون الثرية في الأوساط المثقفة المختلفة، وسيطرة الفلسفة الغربية على مناهجها الأدبية، كلها أمور تستدعي الوقوف عندها بتمعن، وفحص دقيق بغية الوقوف على الأسباب الحقيقية المفضية إلى هذه الوضعية، وتعيين مواطن الضعف واقتراح الحلول لها.

ولئن كنا ندرك بيقين ما للغة الأمة من مكانة مرموقة في تشكيل هوية الفرد والمجتمع، كونها نفا من رموز يكوّن الوعاء الثقافي لتلك الأمة، فإن ما آلت إليها مستويات تعلم علوم اللغة العربية وتوظيفها وتعليمها، في مؤسساتنا التعليمية على اختلاف درجاتها، أضحت شبه منعدمة نتيجة عوامل مختلفة تضافرت كلها لتحديد هذه "المفاتيح" وإبطال فعاليتها إن وُجدت بوسائل شتى، ونقصد بذلك كما هو واضح علوم اللسان العربي بأصنافها المعروفة ومصطلحاتها الأصيلة والمنبثقة من لغة القرآن الكريم أصلا، لتحمل بذلك أعظم حضارة عرفتها الإنسانية، بلسان عربي مبين، هذا اللسان العربي الذي شاعت العناية الإلهية أن يكون خالدا بخلود القرآن الكريم تفشى فيه اللحن، في سائر الأقطار التي ينتمي إليها، و"انتُهكت" قواعده وصيغته، وميِّعت أساليبه في المنطوق والمدون في لغة الاتصال والتواصل، وما إلى ذلك من صور "الإساءة" بقصد أو بغيره إلى لغة الوحي، وغدا "اللحن" الذي شيب أحد أمراء بني أمية معيارا - عند البعض - للحدائث والعصرنة. ونحاول في السطور التالية الإشارة إلى بعض الاقتراحات العملية، المستنبطة من الميدان والتي نسعى من خلالها إلى

لفظة "ملكة" قد وردت في شبه العنوان المذكور سلفاً، "منسوبة إلى اللسان" وذلك ما يستوجب توضيحه أيضاً، لأن فهم العبارة المشكلة من لفظتي: "الملكة" ثم نسبتها إلى "اللسان" يجعلنا نقف على المراد من هذه العبارة، فاللسان في هذا المقام هو تكنية عن اللغة ولا أدل على ذلك من ذلك أن القرآن الكريم قد استخدم هذا اللفظ للإشارة على ذلك في عدة آيات من الذكر الحكيم من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ...﴾ (إبراهيم 4)، وقوله عز وجل: ﴿لِسَانُ الَّذِي يَلْحَدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ...﴾ (النحل 103)، وقوله جل وعلا: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَاللُّوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الروم 22)، و: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ...﴾ (الفتح 11)، ومن ثنايا الآيات الكريمة السالفة الذكر يتضح جلياً أن لفظ اللسان يقصد به اللغة، إذ لم يستخدم القرآن الكريم بهذه اللفظة في جميع آيه، وما دام اللسان هو العضو الأساس في إنتاج الأصوات وهو المعبر عما يجيش في النفس فأطلق مجازاً على اللغة المتمثلة في ذلك النظام من الرموز المتواضع عليه بين الجماعة اللغوية، والتي هي في جوهرها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم<sup>(3)</sup>، أي الوسيلة المثلى للتعبير عن الذات، والأداة الأولى في الاتصال والتواصل والتفكير ووعاء ثقافة الأمة، ونخلص مما سبق إلى أن "اللسان" هو اللغة كما سلف القول بنظامها المتفق عليه، غير أننا لم نشر بعد إلى علاقة "الملكة" -بمفهومها المشار إليه في بداية المقال- بـ"اللسان"، خاصة وقد نسبت إليه بياء مشددة وتاء تأنيث، مما أضفى عليها صلة من نوع ما، وصارت

اختلاف فروعها من جهة، والبت بإلحاح شديد في الكيفية التي توظف بها هذه العلوم في تحليل النصوص العربية الثرية مبنى ومعنى، نقداً وتذوقاً، وذلك - إن تحقق - فإنه سيمكّن مستعمل اللسان العربي التعمق في ثنايا الآثار الأدبية الرفيعة، متفاعلاً مع مضامينها بتلك "المفاتيح" التي هي في الحقيقة محصوله من علوم العربية، فيتمكن من إصدار الأحكام المعلّلة سلباً أو إيجاباً، فتتمو مواهبه وتتطور، ويثري زاده اللغوي بالجد من الألفاظ والتراكيب، ويعانق في اطلاعه الأرقى والأسمى من المعاني وظلال المعاني التي كثيراً ما يحول دون ملامستها قلة زاد مستعمل اللسان العربي، من علوم هذا اللسان وأساليبه، فيجانب الصواب ولا يفيد، ويسيء لنفسه من حيث لا يدري، ويصعب عليه الوقوف على تلك المزاي وغيرها كثير، فلا يستفيد.

ونحاول من خلال السطور الآتية أن نقف على شيء مما تضمنته مقدمة المقال في العناصر الآتية:

### 1- الملكة اللسانية: كنهها ووسائل تطويرها.

### 2- التطبيقات العملية والمران المتواصل من سبل اكتساب الملكة اللسانية الأصيلة.

### 3- خاتمة (أهم ما جاء في المقال).

وشيء من تحليل تلك العناصر يعطينا الآتي:

1- الملكة اللسانية: الواضح أن مصطلح "ملكة" من فعل "مَلَكَ" ومصدره "المَلِك" و "المَلِك" والفعل: مَلَكَهُ، يَمَلِكُهُ، مَلَكًا، وَمَلَكًا، وَتَمَلَكًا، وَالْمَلِكُ هو احتواء الشيء والقدرة على الاستبداد به، ومنه "الملكة"<sup>(1)</sup>، أي ملكك فهي بذلك تلك القدرات الخاصة، والكفاية الجسمية والفكرية والعقلية<sup>(2)</sup> التي تمكّن صاحبها من قوة الأداء في مجال معين سواء تعلّق الأمر بالنواحي الفكرية المجردة أم تلك التي تعود إلى قوة الجسم وطاقاته، وما يهمننا ههنا أن

تقتضي الفحص والتدقيق. ونحن نعلم يقينا أن معظم القراء في وقتنا هذا يتناولون هذه النصوص بنظرات سطحية لا طائل من ورائها، أي وفق حاجات آنية لا تقتضي تفاعلا مع المقروء. ومن هنا بات الاهتمام بوظائف اللغة وعلومها<sup>(5)</sup> واجبا ملحا على الدارسين في كافة المستويات. والملاحظ في هذا المجال أن الميل إلى "التنظير" والاستشهاد بالآراء من مثل: "يقول فلان" أما: "فلان فإنه يرى" مع النفن في الإكثار من المصطلحات اللاتينية "لتدعيم" الآراء والاتجاهات قد أصبحت ديدن الطلاب في جامعاتنا، وبذلك حققوا مبدأ تنميط الثقافة وفق مقتضيات الفلسفات الغربية التي لا تؤمن بغير ثقافتها ومبادئها بديلا مهما كانت قيمة ذلك البديل في نطاق ما يسميه أحد الدارسين المحدثين: "مبدأ اللسانيات الكلية"<sup>(6)</sup>، والتي لا يمكن بأية حال أن تخدم العربية، كونها مستتبطة لخدمة الأنجليزية وأخواتها، ولا تعترف البتة بالفروق بين اللغات بل وبين أنساق التعبير التي تتميز بها كل لغة.

ولا شك أن كل ذلك لا يخدم العربية إطلاقا، والأمر كما نرى واقع في نطاق الهيمنة الثقافية الغربية، في ضوء مصطلحات مغرية براقة ظاهرها مثاقفة وباطنها نوايا استئصال ثقافة الآخر. وإذا كانت كل الأمور قد باتت من المسلّمات عند كل ذي بصيرة نيرة في مجال الصراع الحضاري القائم، فإن المرحلة الراهنة تستوجب البحث عن البدائل الملائمة التي من شأنها - إن لم تضع حدا لهذه الهيمنة على المدى القريب- أن تضع الأسس الكفيلة بإعادة النظر في المناهج المقررة وكذلك في الطرق المنتهجة في تعليم علوم اللسان العربي من الصوت كأصغر وحدة إلى التركيب مروراً بعلم الصرف وأهميته، مع الإشارة إلى أن هذا التقسيم لا يعني بأية حال من الأحوال أن هذه العلوم منفصلة

بذلك علاقة تعريف للمنسوب<sup>(4)</sup> -الملكة- وذاك ما يعيننا، إذ يمكن تلخيصه في: إن الملكة اللسانية هي تلك القدرة أو الكفاية اللغوية التي تمكن صاحبها من عمليات الأداء الكلامي -في جميع المجالات- أداء مميّزا ببسر وسهولة، وبتعبير موجز دقيق يفهمه المتلقّي، وبأسلوب واضح جليّ تخضع عباراته وألفاظه وتراكيبه للنظام اللغوي المنتمي إليه، يمكن الحكم عليه بالصحة والاستقامة وفق المنظومة النحوية، ونعني بها كل مستويات اللغة المشكلة لذلك النظام المتواضع عليه من الصوت إلى البنية الصرفية التي تتركب من تلك الأصوات (الحروف) وما يقتضيه المقام من أشكال وقوالب الألفاظ المستعملة في التعبير كالتجرد والزيادة، والإعلال والإبدال والقلب المكاني وغيرها من الظواهر الصوتية الصرفية، ثم مجال التراكيب النحوية التي تعنى باللفظة المستعملة مركبة مع غيرها من الكلمات في سياق معيّن، للدلالة على معان لا يمكن الوقوف عليها ولا استنباطها، فضلا عن التأثير بها دون الاعتماد على تلك الوسائط اللسانية المذكورة آنفا وتوظيفها وفق مقتضيات المقام المعبر عنه بحذق ومهارة، وذلك ما يميّز الإنسان، إذ هو في نهاية المطاف "لسان" على حدّ قول "زهير" في معلقته الشهيرة:

#### لسان الفتى نصف ونصف فؤاده

فلم تبق إلا صورة اللحم والدم.

والذي نلمسه مما سبق أن اللغة وعاء الفكر، وأداة الإبداع، والوسيلة المثلى للاتصال والتواصل، واكتساب مهاراتها يعدّ من الضرورات الملحة الواجب السعي إليها بجدّ ومثابرة، وذلك لا يتأتى بين عشية وضحاها بكل تأكيد، وإنما هو ثمرة جهد متواصل وإرادة صلبة، ومنهج أصيل وسليم، وخاصة إذا تعلّق الأمر بمراودة النصوص ذات المعاني العديدة، التي

ودور التربية والتعليم أن مصطلح "علم النحو" أضى يشكّل عقبة كؤودا في طريق طلبة أقسام اللغة العربية لأسباب يطول الحديث عنها، لعلّ أبرزها يتجلّى في طريقة تعليمه الجافة البعيدة عن **وظيفته الحقيقية**، وتفكّك منهاجه المقررة، إذ لا يُبنى اللاحق منها على السابق نتيجة إسناد هذا التخطيط لغير المختصين إعدادا وتدرّيسا، وغيرها من الأسباب كثير. والحقيقة أن النحو العربي علم جليل ويعتلي سائر علوم اللسان العربي لأنّ معانيه هي الطاقات الكامنة في اللغة<sup>(10)</sup>، فهو المنطلق في التحليل وتتبع أحوال التراكيب في ثنّيا النصوص بالتكامل التام مع بقية لسانيات العربية كما سيتضح لاحقا، مع بعض النماذج المقترحة للتحليل.

ونخلص ممّا تقدم أنّ الملكة اللسانية العربية تتجلى في تلك القدرة المتميزة والكفاية التامة التي تمكّن صاحبها من التعبير عن كوامنه النفسية بأسلوب دقيق واضح بحسب مقتضيات المقام الصادر فيه، بتأثير في نفس المتلقي متناسب بحسب مدى إلمام باث الخطاب بعلوم اللغة وقدرته على توظيفها في تعبيره الصادرة في سياقات مختلفة. وأمّا طرق اكتساب تلك الملكة فإنما يحصل بوسائل وطرق منها ما نقترحه في العنصر الثاني في هذا المقال:

لذلك حدثت تلك "الجفوة" بين المتعلّم -أيّا كان مستواه- وبين هذا "المقياس" ذي الأهمية البالغة، فغدا عنده نظريات وقواعد صارمة وجب حفظها عن ظهر قلب وإن دعت الحاجة "استشهد بها" وبمصطلحاتها، بل وقد يستظهر القاعدة برمتها في موقف ما، ظنّا بأنّ ذلك يعني معرفة بالنحو والماما به، وهو أبعد ما يكون عن ذلك. وقد أشرنا هنا إلى النحو دون سواه، كونه "الباب" الذي نلج منه إلى

عن بعضها، وهذا اعتقاد راسخ في أذهان طلابنا، والواقع غير هذا تماما، إذ إنّ تلك العلوم إنّما قسّمت تسييرا للدراسة وتمكيننا للاستيعاب، وأمّا عملها فيتجلّى في تلك التكاملية التامة بينها وتضافرها<sup>(7)</sup> التام في تحليل النصوص العربية على اختلاف مضامينها شريطة أن تكون هذه النصوص خاضعة للقياس العربي -أي بمعايير العربية- من صيغ وتراكيب وما إليها من مميزات الأسلوب العربي الرصين. ومتى استحكمت تلك الوسائل من المرء، كان لسانه أبين وأفصح عن المعاني الدقيقة المراد تبليغها، ولعلّ ذلك ما قصده "ابن خلدون" في قوله: "اعلم أنّ اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات وإنما هو بالنظر إلى التراكيب"<sup>(8)</sup>. ولا ريب أنّ مصطلح "التراكيب" ههنا يُقصد به الكلام الذي ينتجه المخاطب في مقام معين، ويطلق على المنطوق والمدوّن. والمعول عليه في الحكم على جودة كل ذلك هو مدى معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان والتي إنّما تكتسب بالتطبيق والمران العقلي. وأبرز تلك العلوم على الإطلاق هو **علم النحو**، لأنه به يتبين أصول المقاصد بالدلالة، ولولاه لجُهل أصل الإفادة<sup>(9)</sup>، غير أنّ الذي هو حاصل في زماننا هذا، وفي المؤسسات الجامعية

**2- التطبيقات العملية والمران المتواصل من سبل اكتساب الملكة اللسانية الأصيلة:**

إنّ الذي حاد بنا عن الطريقة المجدية في تعليم علوم العربية "تعلّما وظيفيا" هو أنّ أغلبنا يقدمها قوالب جاهزة، بعيدة عن النصوص الثرية المفعمّة بالمعاني الشريفة السامية، والأساليب الراقية أي لا حياة فيها، لا تثير اهتماما، ولا تستنفر عقلا، ولا تحدث فضولا، ولا تعلّم ذوقا في نفس المتلقي. وتبعا

الأدب والفكر ولكن بإقصاء "الأخر" واستئصال جذوره الثقافية والحضارية بما تفرضه من هيمنة فكرية في جميع المجالات.

ونحن -والحال هذه- مطالبون بإلحاح بنسج بديل كفيل بأن يغطي هذا الفراغ، ويعمل على ترجيح الكفة للعربية وعلومها دون الإساءة لأحد، ولا الوقوف موقف المتفرج، والابتعاد قدر الإمكان عن المناهات الناتجة عن إثارة مشكلة القديم والحديث والعصرية، ومبدأ تيسير النحو العربي، لأن ذلك - وهو حاصل فعلا- لم يخدمنا ولن يخدم العربية وعلومها بقدر ما يوسع الهوة بين هذه التيارات ويمكن أكثر للتيارات الوافدة والمهيمنة علينا. وأعتقد أننا مجبرون على عملية تقويم أوضاعنا وتقييمها في مجال علوم اللسان العربي، للوقوف على القدر الذي يمتلكه أساتذتنا وطلابنا في علم الأصوات وعلم الصرف، وعلم النحو ثم أبواب البلاغة المعروفة، فقد صادفنا فئة من المختصين تحاول جاهدة الاعتماد على النظريات اللسانية الغربية - على اختلاف توجهاتها- في تحليل النصوص العربية، دون جدوى لعدم الانطلاق من أبواب النحو العربي، ومباحث البلاغة مما جعل جهودهم لا تؤتي ثمارها، والأمثلة على هذه الأوضاع كثيرة، وجب التصدي لها بالبدل الناجع المنبثق عن ثقافة أصيلة لا تقصي الآخر ولكن تسير وفق مبدأ التبادل العلمي الموضوعي المنصف، الذي يقرع الحجة بالحجة وينبني على مبدأ احترام وإنصاف خصوصيات الآخر.

ولقد يطول الكلام في هذا المجال لو فصلنا القول في هذه القضايا، وعقدنا مقارنات وموازنات بين مناهج اللسانيات الغربية، ومنطلقات تراثنا العربي، لأن ذلك مقاما غير هذا المقام، وأدرجنا بدل ذلك شيئا من التطبيقات العملية من القرآن الكريم والحديث الشريف وبيتين من الشعر، من باب

بقية علوم اللسان العربي الأخرى كما سيوضح من خلال بعض النماذج التطبيقية. ويتعلم النحو بهذه الطريقة، والاعتماد على "قواعده" دونما ممارسة فعلية عملية على المنظوم والمنثور من الكلام العربي، جانب الصواب ونقر المتعلم منه، بل ولعل من نتائج تلك الطرق العقيمة إقبال طلابنا في الجامعات - وهذا ليس خافيا على أحد - على الاهتمام باللسانيات الغربية "الكلية" وأضحت نظرياتهم محط اهتمام بالغ، تعنون بها أطروحات الرسائل الجامعية، وتطبق على اللغة العربية ذات الأنساق التعبيرية والأساليب الأصيلة الراقية المختلفة اختلافا جذريا عن أنساق اللغات الغربية كالإنجليزية والفرنسية. وبذلك تمكنت هذه "اللسانيات الغربية" من عقول دارسينا وبعض منظرينا، وهللوا لها على غير هدى، نظرا لاختلاف الأنساق بين لغات العالم، ومن ثمة فإن أعمال اللسانيات الغربية إخلال بنسق العربية<sup>(11)</sup>، ونتج عن ذلك أن أصبحت الدراسات الجامعية مفعمة بالمصطلحات الغربية، بل ولا يحظى أي بحث - مهما علا شأنه- إن لم يقابل أي مفهوم متعلق باللسان العربي بما "يوازيه" من المصطلحات اللاتينية. ومثله ما يحدث في منظومتنا التربوية، إذ حل محل مصطلح النحو الكثير من العبارات مثل: "مظاهر لغوية، التراكيب" وما إلى ذلك، أما على مستوى النصوص نظاما ونثرا فحدث ولا حرج، إذ غدت كتب التربية والتعليم تعج بنصوص هزيلة المضمون، مبتذلة الأسلوب، ركيكة التعبير، ضيقة الأفق، سطحية المعنى، يشوبها إسفاف لا يخدم أية ناحية من نفس المتعلم، وكل ذلك يأتي في نطاق تجديد المناهج لمسايرة "روح العصر" وتماشيا مع الحداثة والعولمة الغربية، التي تسعى جاهدة إلى تنميط الثقافة بحسب اتجاهاتها وقيمها تحت غطاء تلاحق الثقافات وعالمية

للاستدراك، وهما حرفان لا عمل لهما في هذا المقام إلا إفادة المعنيين المذكورين.

~ **جملتان فعليتان معطوفتان مترابطتان بالعطف:**  
مثبتان على ما سبقهما من إضمار الفاعل وحذف مفعول "كذب" للغاية المذكورة في جملة "صدق" السالفة الذكر، والحذف بعد الغاية المذكورة فيه إيجاز معجز واقتصاد لغوي لا ترقى إليه لغة أخرى إلا العربية.

~ **معنى التشريك والترتيب والتراخي في عطف النسق بـ"ثم"**<sup>(16)</sup>: ولعل من معاني هذا النسق نستنبط كنه الفاعل المضمرة الذي هو في الحقيقة "الإنسان السائل" عن يوم القيامة بخصائص وأغراض الحذف التي ذكرناها مع العناصر النحوية السابقة، وهذا ما يلائم بلا شك مفهوم "عناصر التحويل" عند اللغويين المحدثين لترتيب المعاني وفق نسق معين ثم تثبيتها في النفس، ومع ذلك فقد سبقهم "الجرجاني" صاحب نظرية "النظم" الشهيرة إلى هذه القضية والذي يقول بشأنها: "الكلمات تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس"<sup>(17)</sup>، وقد طبقت الأفعال المعطوفة مرفوعها في العدد والجنس".

~ **متعلق بالفعل "يتمطى" حال جملة فعلية:** فقد وردت هذه الحال مؤسسة لمعنى جديد في تركيب الآيات الكريمة، وهي بيان نمط الحركة المسندة للإنسان المقصود بالآية علماً أن نحو اللغة العربية يعتبر الحال من مكملات الجمل، بمعنى أنها في الغالب فضلة قد يستغنى عنها دون تأثير في المعنى، غير أن موضعها هنا مخالف لذلك، إذ لا يتم فهم المعنى إلا بوجودها، لأنها وضحت طبيعة المشي الذي ذكرته الآية وهو: مشية المَطيَّاء<sup>(18)</sup> لمن كذب وتولى وأصلها يتمطط، وحذف الطاء وإطلاق الألف بالمد إيجازاً بالتحقير للفاعل الذي

الاجتهاد وخلص النية للعربية وليس غرورا ولا تعصبا، اعتمادا على المنهج الوصفي التحليلي لتلك النماذج، مع الحرص على إبراز تضافر علوم اللغة العربية فيما بينها في استجلاء المعاني الخفية وظلالها المتوارية في ثنايا التراكيب والنصوص والتي لا يمكن ملامستها في غياب تلك الوسائط أو الوسائل الواجب اعتمادها في تلك العملية، والنماذج على النحو الآتي:

1- قوله تعالى: **فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمْتَطِي** (القيامة 30-32)،  
وبالدابة -تكون بلا ريب- بتحديد العناصر النحوية لهذه الآيات الكريمة فقد تشكلت من الآتي:

**الفاء:** عطف نسق أو استئناف<sup>(12)</sup>، والمعنى الأول أقرب لتفيد الترتيب والتعقيب وذلك مع سياق الآيات السابقة.  
**لا:** أداة نفي تكررت لدخولها على الفعل الماضي، وهو حرف لا محل له من الإعراب.  
**صدق:** جملة فعلية (فعل ماض مضعف العين) للدلالة على المبالغة والتعدي<sup>(13)</sup> والتكثير في المفعول المحذوف الذي يقتضيه الفعل المذكور، بمعنى ما يجب تصديقه من الله ورسوله<sup>(14)</sup>، والملاحظ أن حذف المفعول بـ"صدق" دل عليه سابق الخطاب الإلهي بشأن يوم القيامة باعتبار عطف التركيب عليها.

~ **عطف نفي على نفي:** "وَلَا صَلَّى" في كلا الفعلين المنفيين ضمير مستتر فاعل لهما يعود على الإنسان المذكور في صدر السورة. ومن الأغراض الإبلاغية لإضمار الفاعل وعدم التصريح به هو من باب التحقير بشأنه<sup>(15)</sup>.

~ **عطف بالواو متفرع باستدراك:** "وَلَكِنْ" وهما أداتان الأولى للعطف المطلق للاشتراك والثانية

المتكلم "الياء" في محلّ جر بعد قلب وإدغام تخفيفاً، وتجلّى من ذلك تعظيم الخطأ والترهيب منه، وسموّ شخص النبي (صلى الله عليه وسلم) وعلوّ مكانته لقداسة الرسالة التي جاء بها مع الإشارة إلى أنّ فعل "كذب" لازم تعدّى بحذف الجر لاكتمال معناه<sup>(21)</sup>.

~ **تفريع بضمير الشأن لتعظيم الموقف:** الفاء للربط والاستئناف لأنّ ما بعدها مستقلّ عمّا قبلها من حيث المعنى، إذ بعد النهي جاء التعقيب: (إنّه)، المشكل من الناسخ الحرفي "إنّ"، بعده ضمير الشأن للغائب المذكّر مذکور قبل جملة تفسّره، فهو مبهم لا يعود إلى شيء ولا يطابق شيئاً قبله<sup>(22)</sup>، فلم يوضع لمتكلم أو مخاطب أو غائب تقدم ذكره لفظاً أو معنى، وعند الكوفيين ضمير المجهول لما سبق ذكره مفسّرٌ بجملة تأتي بعده وهو يقع قبل الجملة المفسرة له، وموقعه من الإعراب في الحديث اسم إنّ في محلّ نصب لأن أصله مبتدأ.

~ **جملة تفسير ضمير الشأن:** "من كذب عليّ فليلج النار" أسلوب شرط جازم من الجمل المتلازمة الاقتضائية، وهو عند النحاة ترتيب أمر على آخر بأداة<sup>(23)</sup>، ويقوم على جزأين: الأول بمنزلة السبب، والثاني بمنزلة المسبب، ويتحقق الأول بتحقيق الثاني، وهذا يعني إذا حدث الكذب يحقّ دخول النار، وقد شملت جملة تفسير ضمير الشأن العناصر التالية:

أ- **اسم شرط جازم فعلين:** "من" شرطية لفظها واحد مذكّر، ومعناه معنى الجنس لإبهامها، تقع على الفرد والجماعة والمذكر والمؤنث<sup>(24)</sup>، وتجزم فعلين مضارعين أو ما يقوم مقامهما وهي في محلّ رفع مبتدأ.

ب- **جملة الشرط:** "كذب" سبقت الإشارة إلى بنية ومعنى الفعل وهو مُسند إلى ضمير الغائب، ثم متعلقان جار ومجرور بالفعل نفسه بالدلالة المذكورة

أسند إليه الفعل، والخلاصة الوجيزة من الآيات الكريمة أنه من غير المفيد بتاتا - وهي وجهة نظر خاصة - التعويل على النحو الوظيفي بمصطلحاته ولا النحو التحويلي التوليدي، ولا البنيوية على تحليل المتون العربية الأصيلة ذات المضامين الثرية حتى لا نذكر القرآن الكريم، وشارحه الحديث الشريف الذي نأخذ منه الأنموذج الآتي:

**2- أنموذج لأسلوب النهي تعين زمانه للاستقبال:** قال خاتم الأنبياء والمرسلين (صلى الله عليه وسلم): "لا تكذبوا عليّ فإنه من كذب عليّ فليلج النار"<sup>(19)</sup>، زمن الحديث للاستقبال: الواقع أنه ليس للزمن في حقيقة وجوده أو افتراضه<sup>(20)</sup> انقطاع أو انقسام غير أنّ ممارسة اللغة كأداة تواصل هي التي تشير إلى هذا التقسيم أو الانقطاع طلباً للدلالة الواضحة والتعيين الدقيق للوعاء الزمني الذي يقتزن بالحدث المعبر عنه.

ومن هنا سنقف على الدلالة الزمانية للحديث السابق بعد تحليل عناصره النحوية علماً أنّ الضبط الإعرابي يعكس المعنى التركيبي للكلمة في نطاق عملية الإسناد، وتحليل العناصر النحوية للحديث تعطينا المعاني الآتية:

~ **طلب إلزامي:** "لا تكذبوا عليّ" بصيغة النهي الصريحة والفعل "كذب" الثلاثي بصيغة "فعل" ومصدره: كذبا وكذباً هو نقيض الصدق، وهو مضارع مجزوم بالنهي لأنّ فحواه دعوة المؤمنين إلى عدم "التقول" على الرسول (صلى الله عليه وسلم) بما لم يقله أو يقرّره في سنته الشريفة.

~ **متعلقان "عليّ":** ارتباط الجار والمجرور بالفعل لإفادة معنى: أي إيصال معنى الفعل إلى الاسم وهما: عليّ: حرف جر للظاهر والمضمر والمصدر المؤول، ومعناها الأصيل هو الاستعلاء حقيقة ومجازاً كما هو الحال ههنا، ومجرورها ضمير



~ **جهة فهم الحدث:** نهي صريح وإن كان للغائب، وفحواه نهي مطلق عن كل كذب يسند إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) وذلك يعني أنه لا يجوز النقول عليه شرعا، إذ يُعتبر كذبا كل كلام لم يصدر عنه، وتبعا لذلك فهو كذب على الله تعالى، لأنه إثبات حكم من الأحكام الشرعية سواء أكان في الإيجاب أم النذب<sup>(29)</sup>، وكذا مقابلهما وهو الحرام والمكروه والنهي بصيغته مطلق زمانا ومكانا لأنه حكم شرعي وجب التقيد به لأنه لازم الأمر والإلزام بولوج النار سببه الكذب<sup>(30)</sup>.

~ **العلاقات الإسنادية:** الحديث تركيب إسنادي فعلي، استلزم مطلوبا "نهيا" غير حاصل وقت الطلب ووفقا للمقام الذي صدر فيه فقد دل على نهي صريح ملزم اعتمادا على المعنى الوظيفي الذي أدته التراكيب الإسنادية التي شكلت الحديث والتي وقفنا على بعض معانيها في مباحث التحليل النحوي، إذ تبين أن العناصر النحوية المشكلة لهذه الجمل لزمّت رتبها الاعتيادية المحفوظة<sup>(31)</sup>، والمقصود بها عناصر الجملة الفعلية مع الإشارة إلى إحلال الماضي محلّ المضارع في جملي الشرط والجواب لأغراض يتضح شيء منها في الملامح الآتية:

~ **توكيد الحكم بتكرير اللفظ:** الكذب صفة ذميمة مجوجة تخدش الخلق الكريم ويأبأها العقل السليم بين عامة الناس، فإذا تعلق الأمر بخاتم الأنبياء والمرسلين، فهي كبيرة من الكبائر لهذا كرر الحديث لفظ "الكذب" مرتين في صدر الحديث ثم في الشرط: "لا تكذبوا.... من كذب عليّ"، وتكرير الكلام هنا إنما للتوكيد والإفهام<sup>(32)</sup>، وتبيان مدى خطورة الكذب والنقول على الرسول (صلى الله عليه وسلم).

~ **وظيفة ضمير الشأن (تعظيم التقرير وتهويله):** اقتضى المقام ذلك لأنه ترهيب من الإقدام على الكذب على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

في صدر الحديث، ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط.

ت. **جملة الجواب:** "فليج النار" الفاء رابط لجواب الشرط، ثم لام الأمر، وأصلها أن تحرك بالكسر، وهي ساكنة ههنا لاتصالها بالفاء وتفيد الأمر للغائب<sup>(25)</sup>.

ثم فعل "يلج" ثلاثي معتل الفاء بالواو، مثال على وزن "فعل" بمعنى الدخول<sup>(26)</sup>، ومصدره الولوج، مسند إلى ضمير مستتر فيه وامتدّ بنفسه إلى واحد وذلك من باب مجيء الفعل بمعنى: "فعلتُ، وأفعلتُ" (فعلَ وأفعلَ) وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين، واستوفى مفعوله في لفظ "النار" منصوب على المفعولية، ومعرّف بـ"أل" العهدية لأنّ مصحوبها معهود ذهنيا ومعنى ذلك حصول التصور الحاصل بالإدراك الذهني لكلمة "النار" وخصائصها.

وجملة: "فليج النار" في محلّ جزم جواب الشرط، والجملتان المتلازمتان من الشرط وجوابه في محلّ رفع خبر للمبتدأ "من" اسم الشرط الجازم، والجملة الاسمية المشكلة من اسم الشرط وفعلية في محلّ رفع خبر الناسخ "إنّ" الذي استوفى اسمه في ضمير الشأن المشار إليه في المبحث السابق.

ويمكن أن نشير إلى جهات هذا الحديث الشريف كما يلي:

~ **جهة زمن الحدث:** النهي نقيض الأمر، لأنه تم بقرينة لفظية هي "لا" الناهية التي تحمل معنى مضادا للأمر<sup>(27)</sup>، وفي الحديث طُلب بها ترك الكذب، أي النقول على النبي (صلى الله عليه وسلم) والافتراء عليه تركا مطلقا، والفعل المعبر عن ذلك ماض "كذب" فتعين بهذه القرائن لزمن الاستقبال لأنه حدث مشروط لم يقع بعد، أي لما يكون ولم يقع بتعبير "سيبويه"<sup>(28)</sup>، والذي طُلب منه الترك غائب، نتناوله في الملامح الأسلوبية الموالية:

وهيَّاتَ أَنْ يَخْفَى وَأَنْتِ جَعَلْتِ <sup>33</sup>

جَمِيعِي لِسَانًا فِي الْهُوَى يَتَكَلَّمُ.

وبعد القراءة الفاحصة، وحصول التفاعل مع مضمون البيتين، يمكن الوقوف على عناصره النحوية على النحو الآتي: (أشرنا في مقدمة هذه السطور إلى أن النحو العربي هو المنطلق في التعامل مع بقية مستويات وعلوم اللغة).

- **جملة فعلية بأحد أفعال اليقين (أراك):** تقرير بأحد أفعال القلوب<sup>(37)</sup> لإدراك معانيها بالقلب، "أرى" وهو فعل ينصب مفعولين، أصلهما مبتدأ وخبر استوفى مفعوله الأول في "كاف" المخاطبة "ك"، والمفعول الثاني محذوف يقدر بمفرد أو جملة أو ظرف إذا كان بمعنى الاعتقاد والتيقن<sup>(38)</sup>، ولفعل "أرى" معان: الرؤية القلبية، ورؤيا الحلم: ما يرى في المنام، والرؤية البصرية: أي أبصر بعينه، هو مقام الفعل وهنا لأن أفعال الحواس الخمس تتعدى إلى مفعول واحد<sup>(39)</sup>.

- **تفريع أول بالعطف:** "فأستحي": وعناصره النحوية هي:

**الفاء:** تكون لعطف النسق أو الاستئناف، والأول أنسب للمقام، لأنّ الفاء من قسم حروف العطف الذي يشرك فيه المعطوف والمعطوف عليه في الحكم المعنوي للتركيب، وفي الإعراب والفاء هنا تفيد التركيب والتعقيب إذ أفادت توالي فعل "أستحي" بعد فعل "أراك" من باب عطف جملة فعلية على جملة فعلية.

**جملة فعلية "أستحي":** صيغة: استعمل من الثلاثي "حيي" من الحياء الذي يفد التوبة والحشمة<sup>(40)</sup>، وتحتل الصيغة الصرفية المذكورة معاني تستفاد من السياق الواردة فيه وهي هنا بمعنى "الإيجاد"<sup>(41)</sup> على حال الحياء، أي أن صاحب البيتين يجد نفسه على درجة كبيرة من الحياء كلما رأى من يقصدها

فوظف ضمير الشأن كضرب من ضروب المبالغة في الحدث، لأنّ موقع هذا الضمير مثير للانتباه لخصوصيته كما ذكرنا، ولعلّ ما ينبه إلى ذلك غموضه وإبهامه، ثم تفسيره بجملة لا يجوز أن تتقدم عليه لأنه يعود عليها لزوماً، وهو في هذا كلفه لتعظيم المخبر وتفخيمه<sup>(33)</sup>، ويعمل في الابتداء أو ما أصله كذلك ويلزم الأفراد، كما أكد المضمون بالناسخ "إنّ" الذي يحمل معنى التعليل أيضاً.

~ **الإجمال والتفصيل واستعارة الدلالة الزمانية للموقف:** من العلاقات الدلالية في النص ومظاهر التماسك فيه علاقة الإجمال بالتفصيل، إذ أشير في الحديث إلى نهى مطلق خطير: "لا تكذبوا عليّ" إجمال لأنه عادة ما يسبق التفصيل لأن هذا الأخير يحمل المرجعية الخلفية للأول أو ما يسمّى: رد العجز على الصدر لأنه موقف جليل في البلاغة العربية<sup>(34)</sup>، وحلّ التفصيل بعد تعظيم الحدث بضمير الشأن باستخدام الفعل نفسه: "كذب" بصيغة الماضي من باب استعارة الزمن الدال على الأزمنة الثلاثة: ماض وحال واستقبال لخطورة الأمر المنهي عنه، ثم استعارة صيغة: "ليفعل" خبراً وطلباً يتوقّع حصوله في زمن المستقبل، وإذا كان الخطاب في أصله يكون لمعيّن<sup>(35)</sup>، فإنه هنا مطلق يهّم كل سامع وذلك بقرينة التركيب الشرطي بجمليته الواقعتين خبراً لاسم الشرط الموصولي: "من" وكل ذلك شكّل بحق قيما انفعالية<sup>(36)</sup> ذات قوة تأثيرية على المتلقي (السامع).

**الأنموذج الثالث:** ونورد فيما يلي أنموذجاً ثالثاً: نحاول من خلاله تطبيق ما أمكن من علوم اللسان العربي، بغية الوقوف على المعاني وظلال المعاني المتضمنة في ثناياه، جاء ذلك في قول أحدهم:

أَرَاكَ فَاسْتَحِي فَأَطْرُقُ هَيْبَةً  
وَأُخْفِي الَّذِي بِي مِنْ هَوَاكِ وَأَكْتُمُ

"الذي" في محل نصب على المفعولية، وها هو يعدل مرة أخرى عن التصريح المباشر، فيوظف معرفة مبهمه "الذي" لتعظيم الموقف وعدم القدرة على الإدلاء به يوحي بذلك، على أنه يدرك ما يعانیه، لأنّ التعبير بنمط المعارف المبهمه يقتضي معرفة خصائصها، ولا أدلّ على ذلك من صلة هذا الموصول الاسمي الواردة في قوله:

- **بي من هواك:** الباء من أحرف الجر المتصرفة<sup>(46)</sup> كونها تجرّ الأسماء الظاهرة والضمائر المتصلة، ومعانيها كثيرة، لعلّ ما يناسب مقامها في البيت هو "الإلصاق" أي ملازمة الشيء على الدوام، ونعني به مشاعر صاحب البيت إذ لا تفارقه البتة وهو إصاق مجازي بطبيعة الحال ومجروها ضمير متصل يعود على المتكلم.

- **شبه جملة "من هواك":** الجار "من" المتصرفة مثل الباء مع جرّها للمصدر المؤول مع "أن" و"أنّ" و"ما"، ولها معان كثيرة أبرزها ابتداء الغاية، ومعناها في سياق البيت: السببية والتعليل كما هو واضح.

- **تفريع ثان بالعطف:** عطف جملة فعلية على جملة فعلية بواسطة الواو. وتمّ ترتيب المعاني وفق اختلاجها في نفس المتكلم: "يخفي" و "يكنم" فالواو هنا عاطفة جامعة<sup>(47)</sup> بين فعلين متقاربي الدلالة "أخفي" و"كنم". والثاني أبلغ من الأول لدلالته على التشديد والمبالغة في عدم الإعلان والتصريح، والمواظبة على التستر، وهو متعدّد بنفسه لم يذكر معموله للدلالة عليه في سياق التركيب.

- **استئناف أول بخالفة مرتجلة:** "هيات": تمّ ذلك بواسطة الواو الاستئنافية التي ترتبط مع ما قبلها معنوياً لا صناعياً<sup>(48)</sup>، والمقصود بالاستئناف هنا هو الابتداء دون العطف والحال مع رابط معنوي مع ما سبق جملة الاستئناف: "الإخفاء والتكتم" ليشير إلى استحالة حصول ذلك بـ:

بشعره، مع تضمين استمرار الحال بصيغة المضارع الدالّ على تجدد الحدث في مقامه، وطبيعة الفعل "استحيي" تقتضي التعديّة بحرف الجرّ والذي حذف هنا لغرض خفي، والتقدير استحيي "منك" كما قد يستغنى عن حرف الجرّ لدلالة السياق عليه.

التفريع الثاني (بعطف النسق): "فأطرق هيبه"، تم ذلك وفق العناصر النحوية الآتية:

- **حرف عطف:** "الفاء" وقد سبقت الإشارة إليها مع التفريع الأول.

- **جملة فعلية مضارعية:** "أطرق"، ومنه الإطراق وله معان، وما يناسب المقام هو إرخاء العين والنظر إلى الأرض<sup>(42)</sup> ومعه الامتناع عن الكلام، يترتب عن معنى فعل الاستحياء الذي سبقه وهو نتيجة له برباط الفاء العاطفة كما سبق ذكره، وطبيعة فعل "أطرق" اقتضت بعض المكملات نسجها في:

- **مفعول لأجله (من أجله):** في "هيبه" مصدر هاب الثلاثي، وذلك أصل<sup>(43)</sup> المفعول لأجله ولا يكون إلا مقدرًا باللام، وعلّة للفعل وهو ما ينطبق على لفظ "هيبه" في البيت، لأنّ معناها هو الإجلال والمخافة<sup>(44)</sup>، والتقية من كل شيء.

- **استئناف متفرّع بعطف نسق:** (وأخفي الذي بي من هواك وأكنم)، يمكن تحليل العناصر النحوية لهذا التركيب على النحو التالي:

الواو: تحتمل معنيين: عطف نسق أو استئناف، والثاني أقرب لها في هذا المقام، لأنّ الشاعر انتقل من حالة نفسية: (الرؤية فالإطراق إكباراً وإجلالاً)، إلى الإعلان عن وضع يقتضي جهداً لتحقيقه في قوله:

- **أخفي الذي بي من هواك:** فعل مضارع من "أخفى" الشئ فهو خاف وخفي<sup>(45)</sup>: لم يظهر وأراد من ذلك: إنّه يستر ويؤاري ما يكابده، والفعل كما هو واضح متعدّد إلى واحد، استوفاه في الاسم الموصول

منه بمقتضى فعل "جعل" الذي احتمل معنى التصيير والتحويل كما سبق.

ثم الجار والمجرور "في الهوى" المتعلقان بالفعل ذاته، على أن حرف الجر "في" المفيد للظرفية المجازية قد تغيرت وظيفته سياقاً إذ يحتمل معنى حرف الجر "عن" من باب التضمنين في حروف المعاني لأن الأصل أن يقول: (جعلتني لساناً عن الهوى يتكلم)، وبذلك تضمن الحرف "في" معنى الحرف "عن" لأن "في" للظرفية وتعني شمول كل ما يتعلق بمعنى الهوى، ثم إسناد الكلام إلى كيانه برمته من المجاز العقلي وعلاقته المحلية، لأن الفاعل الحقيقي هو "جميعه" قاصداً بذلك كل حركاته وسكناته، وبذلك فهو تصوير دقيق لانفعال خاص.

#### بعض السمات الأسلوبية للبيتين:

- **الجهة الزمانية للفعل المحوري:** "أراك": مر بنا أنه من أفعال القلوب، وتعين لـ "الرؤية البصرية"، فاستوفى معمولاً واحداً في كاف الخطاب، وصيغة "أفعل" المتصلة بهمزة المضارع أوحى لنا بتكرار حدث الرؤية، وتبعاً لذلك استمرارية الحدث الذي يتجلى في انفعال نفسية الشاعر انفعالا وتأثراً ممتدين زمانياً مع حدوث الفعل المحوري المذكور، وذلك استدعى حضور جملة: "من الأحداث المرتبطة أو الناتجة عن ذلك الفعل"، منها:

**تكرار الإسناد بالأفعال:** وردت في البيتين سلسلة من المركبات الإسنادية: فعل + فاعل، ومتعلقات. والمسند ركن أساس في العملية كما هو معلوم، واللافت للنظر أن المسند ورد "أفعالا" دالة على الحركة والتفاعل وشدة الانفعال مع الحدث المعبر عنه في فعل الرؤية. من ذلك: (أستحي)، (أطرق)، (أخفي)، (أكتم)، (هيهات)....، ومرتببة ترتيباً تصاعدياً بتصاعد انفعالي وتأثر صاحبها، وفقاً لمقولة الجرجاني السابقة والدالة على ترتيب المعاني

- **"هيهات":** من أسماء الأفعال، خالفة بتعبير "تمام حسان" لأنها عملت عمل الأفعال وسُميت بها لأنها قامت مقامها، ودلت عليها بعملها، وهي بذلك - أي الخوالف - دوال على المعاني التي وضعت لها، وهذه دوال على تلك الألفاظ فهي أسماء لألفاظها. ويتضح أن اسم الفعل أو الخالفة ما ناب عن الفعل معنى واستعمالاً، والغرض منها هو الإفصاح عن موقف انفعالي تأثري، كما هو حال "هيهات" في هذا المقام. فهي اسم فعل ماض بمعنى "بعد" مبني على الفتح، الغرض منه إبداء الحسرة والألم وفيه مبالغة واختصار في التعبير عن ذلك المعنى.

- **جملة مصدرية في محل رفع فاعل:** "أن يخفى": لأن اسم الفعل أو الخالفة يعمل عمل الفعل، وفاعل "هيهات" سُبك من: أن المصدرية وصلتها، والتقدير: بعد إخفاؤه، مصدر مؤول. واستخدام المضارع مع أن الناصبة يدل على الحركية في الحدث وعدم انقطاعه مما يوحي بشدة معاناة صاحبه.

- **استئناف ثانٍ مذيّل بأحد أفعال القلوب:** "وأنت جعلتني جميعي لساناً في الهوى يتكلم": العناصر النحوية لهذا الاستئناف: الواو ثم ضمير المخاطبة على الابتداء، جملة فعلية مستوفية العناصر: مسند، ثم جملة "جعلتني": فعل + فعل + مفعول به ضمير متصل في محل نصب. والفعل "جعل" من أفعال القلوب خلص للتصيير، أي التحويل من حال إلى أخرى مثل ما هو حاصل في عجز البيت الثاني: "جعلتني لساناً" استوفى مفعوليه في الضمير المتصل، ثم في الفعل ولفظ لساناً، بالتحريك لتخيم الموقف، الذي اقتضى من صاحبه توكيده توكيداً معنوياً يفيد الشمول لا الذات<sup>(49)</sup>، ومعنى ذلك إفادة التعميم الحقيقي في لفظ "جميعي"، وذلك ما يعني أن كل كيانه أضحي لساناً مترجماً لمشاعره دون قصد

الزاهر والغني بهذه العلوم، والذي مازال وسيبقى صالحا ومسايرا لكلّ زمان لأنّه وليد حضارة ربانية خالدة، لا عنصرية فيها، تساير كل حضارات الأمم، لكنها لها خصوصياتها التي يجب على المنتمين إليها العمل على ترسيخها في كل عصر ومصر.

وقد اعتمدنا في هذا العرض الوجيز على آية كريمة وحديث شريف من صحيح البخاري وبيتين من الشعر، نماذج للتحليل، على أن الشعر العربي العمودي يشكّل بحق الحقل الخصب للتطبيقات اللغوية للمتعلمين، والاعتماد عليه في تعليمية علوم اللغة وترسيخها في أذهان المتعلمين ضرورة ملحة، لما تحمله تلك الأشعار من قيم، وزاد لغوي، ومعان سامية تثرى القاموس اللغوي للمتعلم وتكسبه الأدوات اللازمة لإصدار الأحكام ونقدها بكل ثقة في النفس، قبل الخوض في أيّ الذكر الحكيم وذلك توخيا للمزيد من اكتساب وسائل التحليل اللغوي بمنهج عربي أصيل.

وفق منشئها في النفس، فتقتفي في نظمها ذلك الترتيب، وذلك يطلق عليه في علم البلاغة العربية: بحسن الرصف بمعنى حسن الرصف للمباني وفق مقتضيات المعاني، وأن توضع الألفاظ في مواضعها<sup>(50)</sup> لتنتقل المضمون الإبلاغي للمتلقي في تمام مشوق.

### خاتمة:

تلك بعض الملامح التحليلية التي تستند إلى علوم اللسان العربي في منطلقاتها، متضافرة في عملية سبر غور التركيب أو النص بمفهومه التراثي أو الحديث، مادام يشكّل وحدة دلالية مستقلة تحمل معنى يحسن السكوت عليه، ولعلّ هذا المنهج هو الذي يمكن طلبتنا ومتعلمينا من التدرج شيئا فشيئا في سلّم هذه العلوم الجليلة، ولا ضير في الاطلاع على ما أنتجه الغير مادام لا يلغي ثقافتنا أو يهشمها، ولن يتأتّى لنا ذلك إلاّ بالإيمان بتراثنا

### الهوامش:

- 1- ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1988، بيروت، مادة "ملك" 183/13.
- 2- Le Petit Larousse illustré rue Montparnasse 75283; Paris cedex 2009 ; p406.
- 3- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ت: محمد علي النجار، عالم الكتب بيروت، ط2، 2010، ص67.
- 4- حسن قطريب، معجم النحو العربي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 1994، ص588.
- 5- محمد ناصف، اللغة والتفسير والتواصل، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، رقم 193، 1995، ص10.
- 6- محمد الأوراعي، لسان حضارة القرآن، الدار العربية، ناشرون، منشورات الاختلاف، الرباط ط1، 2010، ص36.
- 7- يوسف وسطاني، التكاملية في التحليل اللغوي، مجلة التراث العربي، العدد 107، جويلية 2007، دمشق، ص108.
- 8- المقدمة، ت. أحمد جاد، مؤسسة قصر البخاري للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، ص555.
- 9- السابق نفسه، ص547.
- 10- محمد أبو موسى، دلالة التركيب دراسة بلاغية، مكتبة أبو وهبة القاهرة، 2004، ص25.
- 11- محمد الأوراعي، نظرية اللسانيات النسبية دواعي النشأة، الدار العربية للعلوم، ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2010، ص47.
- 12- المالقي، رصف المباني في شرح حروف المعاني، ت. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط3، 2002، ص440.
- 13- محمد الأنطاكي، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشروق العربي، بيروت، ط3، ص178/1.
- 14- الألويسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص148/29.
- 15- عبد العزيز عبد المعطي عرفة، من بلاغة النظم العربي، عالم الكتب، بيروت، دط، ص128/1.

- 16- محمد الأنطاكي، المحيط في أصوات العربية نحوها وصرفها، دار الشروق العربي ط3/دت، ص123/3.
- 17- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2000، ص132.
- 18- الألويسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، 142/29.
- 19- البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، عالم الكتب، ط4، 1985، ص63/1.
- 20- علي شلق، الزمن في اللغة العربية، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 2006، ص22.
- 21- المكودي، شرح المكودي على ألفية ابن مالك، ت/فاطمة راشد المالكي/ جامعة الكويت، ط302/1993.
- 22- السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع/ دار المعرفة، بيروت، دت، 67/1.
- 23- محمد عودة سلامة أبو جري، أساليب الشرط والقسم في القرآن الكريم، دكتوراه، إشراف رمضان عبد التواب، 1990، جامعة عين شمس، القاهرة، قسم اللغة العربية، ص14/13.
- 24- السابق نفسه.
- 25- المررد/المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد، ت/ محمد عبد الخالق عزيمة/ عالم الكتب/دط/دت، ص131/2.
- 26- الزمخشري، أساس البلاغة، المكتبة العصرية بيروت/ ت: محمد أحمد قاسم، ط2003/1، ص920.
- 27- محمد خير حلواني، النحو الميسر، دار المأمون للتراث، ط1، 1997، ص174/1.
- 28- الكتاب، سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنير/ ت: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب/ بيروت/ دط، دت 12/1.
- 29- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، العسقلاني بن حجر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت، 161-162/1.
- 30- السابق نفسه.
- 31- تمام حسان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط3، دت، 67/1.
- 32- الفراء، أبو زكرياء يحيى بن زياد: معاني القرآن - ت.: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دت، ص: 45/2.
- 33- السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، ت. فواز أحمد زملي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2004، ص452/451.
- 34- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ت: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ص400.
- 35- بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، منشورات جامعة طرابلس، كلية التربية، ط1975/1، 536/2.
- 36- سمير أبو حمدان، الإبلاغية في البلاغة العربية، منشورات عويدات الدولية - ط1 - 1991 - ص: 08.
- 37- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ومعه شرح الشواهد للعيني، ت. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، ط1/ 2004، بيروت، ص28، 29/2.
- 38- الهرمي - عمر بن عيسى بن إسماعيل، المحرر في النحو، ت. منصور علي محمد عبد السميع، دار السلام، ط1، 2005، ص703/2.
- 39- السابق نفسه، 694/2.
- 40- ابن منظور، لسان العرب، 429/3، مادة حيا.
- 41- ابن قتيبة، أدب الكاتب، ت. محمد الداني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1982، ص467.
- 42- ابن منظور، لسان العرب، ص153/8، مادة: طرق.
- 43- الهرمي، المحرر في النحو، ص827/2.
- 44- ابن منظور، لسان العرب، 171/15، مادة: هيب.
- 45- السابق نفسه، ص164/4، مادة خفي.
- 46- محمد خير حلواني، النحو الميسر، دار المأمون للتراث، ط1، 1997، ص613/2.

- 47- أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، معاني الحروف، ت. عرفان بن سليم الدمشقي، المكتبة العصرية، بيروت، دط، 2009، ص36/37.
- 48- أيمن عبد الرزاق الشوا، من أسرار الجمل الاستثنائية، دراسة لغوية قرآنية، دار الغوث في الدراسات القرآنية، دمشق ط1، 2006، ص248.
- 49- عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، دط، دت، ص3/509.
- 50- أبو هلال العسكري- الصناعتين، ص167.